

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com



مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

• أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ
الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

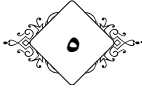
• أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَاشِدِ التَّمِيمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفٍ مِنْ
هَجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي رِسَالَتِهِ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا»؛ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

جامعة

مِنْهَاجُ السُّوَعِ

www.menhag-un.com



مَتْنُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدَلَّةِ.

الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿سورة العصر﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : وَلَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ، لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

الثَّانِيَّةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مَوَالَاةٌ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ - أَرَشَدَكَ اللَّهُ لِبَطَاعَتِهِ - أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوحِّدُونِي.

وَأَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمَ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٥].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الرَّبِّ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالِمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].
وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢١ - ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا مِثْلُ: الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ،

وَالْإِنَابَةُ، وَالِاسْتِعَانَةُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَلْمَسَ جِدَ اللَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [البجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخُشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ [البقرة: ١٥٠].
وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ [الآية الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «...وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وَدَلِيلُ الْإِسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١].

و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ...﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ:

وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكَ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْإِسْلَامُ:

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدُّ النَّفْيِ مِنَ الْإِثْبَاتِ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، (إِلَّا اللَّهُ) مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي

بِرَأْيِهِ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿[الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصَدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: الْإِيمَانُ:

وَهُوَ: يَضَعُ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كَمَا فِي الْحَدِيثِ «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ:

أَرْكَانُهُ: وَلَهُ رُكْنٌ وَاحِدٌ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرْفَعُ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

قَالَ: صَدَقْتَ.

فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ.

قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ.

قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا.

قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ».

قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرُونَ مِنَ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

الْأَصْلُ الثَّلَاثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ -.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النُّبُوَّةِ.

نَبِيٌّ بِ(اِقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِ(الْمُدَّثِّرِ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَنُورُ ١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكَيِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿ [المدرثر: ١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشُّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبِّكَ فَكَيِّرْ﴾: أَي: عَظَّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَي: طَهَّرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشُّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجَرُهَا: تَرَكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَالْهَجْرَةُ: الْإِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ.

وَالْهَجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشُّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ١٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿

[النساء: ٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾

[العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ وَلَمْ يَهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهَجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَنْقَطِعُ الْهَجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، مِثْلَ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوفِّيَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالِدَلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّصُونَ ﴿[الزمر: ٣٠-٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبُعْثِ مُحَاسِبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبُعْثِ كَفَرَ، وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لُيَبْعَثُنَّ ثُمَّ لِنُنَبِّئَنَّهُمْ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالِدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ

بَعْدَهُ ﴿[النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وافتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتَّبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

هَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي سَمَّاهَا الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتْهَا»، هَذَا قَدَرٌ مِنْهَا نُعَالِجُ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا كَانَ مِنْ شُرُوحِ الْعُلَمَاءِ حَوْلَهُ، وَمَا يَكُونُ مِنْ تَعْلِيقٍ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

رِسَالَةُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَفِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ.

جامعة

مِنْهَاجُ السُّوُوعِ

www.menhag-un.com

شرح البسملة

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ابْتَدَأَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِالْبِسْمَلَةِ؛ اقْتِدَاءً بِكِتَابِ اللَّهِ ﷻ فَإِنَّهُ مَبْدُوءٌ بِالْبِسْمَلَةِ، وَاتِّبَاعًا لِحَدِيثِ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَهُوَ أَبْتَرُ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي» (٢/٦٩، رَقْمُ ١٢١٠، تَطْحَانِ)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: السَّمْعَانِيُّ فِي «أَدَبِ الْإِمْلَاءِ وَالِاسْتِمْلَاءِ» (رَقْمُ ١٣٩)، وَالسُّبْكِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» (١/١٢)، مِنْ طَرِيقِ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ عُبيدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ شَرِيكٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ كَعْبٍ الْأَنْطَاكِيِّ، عَنْ مُبَشَّرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْطَعُ». وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عِمْرَانَ، أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْجُنْدِيِّ: شَيْعِيٌّ ضَعِيفٌ، انْظُرْ: «الْمِيزَانُ» (١/تَرْجَمَةٌ ٥٧٥)، وَ«تَارِيخُ بَعْدَادَ» (٦/رَقْمُ ٢٧٣٤).

وَالْحَدِيثُ ضَعْفٌ إِسْنَادُهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَلَى مَا نَقَلَهُ ابْنُ عِلَّانَ فِي «الْفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ» (٣/١٩٧، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ)، وَضَعْفُهُ جِدًّا الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ١)، وَقَالَ: «الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ جِدًّا، وَلِلْحَدِيثِ طُرُقٌ أُخْرَى، وَلَكِنَّهَا لَا تَرْفَعُ

وَاقْتِدَاءً بِالرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ يَبْدَأُ كُتْبَهُ بِالْبِسْمَلَةِ (١).

الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ فِعْلٌ مُؤَخَّرٌ مُنَاسِبٌ لِلْمَقَامِ، تَقْدِيرُهُ:
«بِسْمِ اللَّهِ أَكْتُبُ، أَوْ بِسْمِ اللَّهِ أَصْنَفُ».

وَقَدَّرْنَاهُ فِعْلًا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ (٢).

وَقَدَّرْنَاهُ مُؤَخَّرًا لِفَائِدَتَيْنِ:

الْأُولَى: التَّبَرُّكُ بِالْبَدَاءَةِ بِاسْمِ اللَّهِ ﷻ.

بِمَجْمُوعِهَا إِلَى دَرَجَةِ الْحُسْنِ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَسْمَعْهُ الْأَوْزَاعِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ قُرَّةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ جِدًّا، انْظُرْ: «الْمِيزَانُ» (٣/ نَزْجَمَةٌ ٦٨٨٦)، وَ«الْإِرْشَادُ» لِلْخَلِيلِيِّ (٣/ ٩٦٦، ط الرُّشْدِ)؛ فَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِهِ» (النِّكَاحُ، ١٩: ٣، رَقْمُ ١٨٩٤)، مِنْ طَرِيقِ: عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ قُرَّةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بَلَفْظُ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ، أَقْطَعُ».

وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ أَيْضًا فِي «الْإِرْوَاءِ» (رَقْمُ ٢).

(١) كَمَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (بَدَأِ الْوَحْيِ، ١: ٦، رَقْمُ ٧) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (الْجِهَادُ، ٢٦، رَقْمُ ١٧٧٣)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّامِ، فَاتَوْهُ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرْقَلَ عَظِيمِ الرُّومِ، السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ».

(٢) «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص ٦، ت مُحَمَّدٌ حَامِدُ الْفِقِيِّ).

الثانية: إفادة الحصر؛ لأنَّ تقديمَ المُتعلِّقِ يُفيدُ الحصرَ.

* قُلْتُ: فَتَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأخِيرُ - وَهُوَ هَا هُنَا الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ - يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالْقَصْرَ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: (اَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وَ(أَصْنَفْ بِاسْمِهِ تَعَالَى) لَا بِاسْمِ شَيْءٍ غَيْرِهِ؛ فَجَعَلْتَ ذَلِكَ مَقْصُورًا عَلَيْهِ عِنْدَمَا قُلْتَ: (بِسْمِ اللَّهِ أَصْنَفْ)، (بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَفْ).

فَتَجْعَلُ الْمَحْذُوفَ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلٍ مُؤَخَّرٍ، بِفِعْلٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ، فَالْأَصْلُ فِي الْعَمَلِ الْأَفْعَالُ لَا الْأَسْمَاءُ، ثُمَّ إِنَّكَ تَجْعَلُ ذَلِكَ الْفِعْلَ الْمَحْذُوفَ مُؤَخَّرًا مَعَ أَنَّ الْقَاعِدَةَ: أَنَّ مُتَعَلِّقَ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ يُقَدَّرُ مُقَدِّمًا، وَلَكِنْ يُقَدَّرُ مُؤَخَّرًا؛ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، وَلِلتَّبَرُّكِ بِالْبَدْءَةِ بِاسْمِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدَّرْنَاهُ مُنَاسِبًا؛ لِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ، فَلَوْ قُلْنَا مَثَلًا عِنْدَمَا نُرِيدُ أَنْ نَقْرَأَ كِتَابًا: «بِسْمِ اللَّهِ نَبْتَدِي»، لَكِنْ: «بِسْمِ اللَّهِ أَقْرَأُ» يَكُونُ أَدَلُّ عَلَى الْمُرَادِ الَّذِي أَبْتَدِي بِهِ.

* قُلْتُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: (بِسْمِ)، قِيلَ: لِلِاسْتِعَانَةِ^(١)،

(١) وَهِيَ: الدَّالَّةُ عَلَى آلَةِ الْفِعْلِ وَأَدَاتِهِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مَعْنَاهُ، فَهِيَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْفَاعِلِ وَمَفْعُولِهِ الْمَعْنَوِيِّ؛ وَلِذَلِكَ تُسَمَّى (بَاءَ الْآلَةِ)؛ نَحْوُ: (كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ)، وَ(نَجَرْتُ بِالْقُدُومِ)، وَ(بَتَوَفِيقِ اللَّهِ حَاجَجْتُ)، أَيْ: اسْتَعَنْتُ بِهِذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَفْعَالِ، «مُعْنِي اللَّيْسِ» لِابْنِ هِشَامٍ (ص ١٣٩، دَارُ الْفِكْرِ)، وَ«شَرْحُ الْمُفَصَّلِ» لِابْنِ يَعِيشَ (٤/ ٤٧٤)، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ،

وَقِيلَ: لِلْمُصَاحِبَةِ (١).

مِمَّنْ قَالَ: إِنَّهَا لِلْمُصَاحِبَةِ، الزَّمْخَشَرِيُّ (٢)، قَالَ ذَلِكَ فِي «الْكَشَافِ» (٣).

وَالزَّمْخَشَرِيُّ مُعْتَزِلِيٌّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَكَانَ فَخُورًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، حَرِيصًا عَلَى
إثْبَاتِ تِلْكَ النِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا طَرَقَ الْبَابَ فَقِيلَ: مَنْ؟ قَالَ: جَارُ اللَّهِ
الْمُعْتَزِلِيُّ (٤).

وَحَاشِيَةُ الْبِقَاعِيِّ عَلَى «أَوْضَحِ الْمَسَالِكِ» (٣/ ٣١ - ٣٢، دَارُ الْفِكْرِ).

(١) الْمُصَاحِبَةُ: انْضِمَامُ شَيْءٍ إِلَى آخَرَ انْضِمَامًا يَقْتَضِي تَلَازُمَهُمَا فِيمَا يَقَعُ عَلَيْهِمَا أَوْ مِنْهُمَا،
وَعَلَامَتُهَا: أَنْ يَصْلُحَ فِي مَوْضِعِهَا (مَعَ)، وَيُغْنِي عَنْهَا وَعَنْ مَصْحُوبِهَا الْحَالُ، نَحْوُ: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا
بِالْكَفْرِ﴾ [المائدة: ٦١] الْآيَةُ، أَيْ: مَعَهُ، وَنَحْوُ: (خَرَجَ بِعَشِيرَتِهِ)، وَ(دَخَلَ عَلَيْهِ بَشَابِ السَّفَرِ)،
وَ(اشْتَرَى الْفَرَسَ بِسَرِّهِ وَلِجَامِهِ)، وَالتَّقْدِيرُ: خَرَجَ وَعَشِيرَتُهُ مَعَهُ، فَهِيَ جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: مُصَاحِبًا عَشِيرَتَهُ، فَلَمَّا كَانَ الْمَعْنَى يَعُودُ إِلَى ذَلِكَ؛ لَقَبُوا الْبَاءَ
بِالْمُصَاحِبَةِ، وَكَذَلِكَ (دَخَلَ بِشَابِ السَّفَرِ)، وَ(اشْتَرَى الْفَرَسَ بِسَرِّهِ وَلِجَامِهِ)، أَيْ: وَثِيَابِ
السَّفَرِ عَلَيْهِ، وَالسَّرُّجُ وَاللِّجَامُ مَعَهُ، «شَرْحُ الْمُفَصَّلِ» لِابْنِ يَعِيشَ (٤/ ٤٧٤).

(٢) هُوَ: كَبِيرُ الْمُعْتَزِلَةِ، أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الزَّمْخَشَرِيُّ، الْخَوَارِزْمِيُّ، النَّحْوِيُّ،
صَاحِبُ (الْكَشَافِ) وَ (الْمُفَصَّلِ)، وَكَانَ رَأْسًا فِي الْبَلَاغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَلَهُ نَظْمٌ
جَيِّدٌ، لَكِنَّهُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِعْتَزَالِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ: «فَكُنْ حَذِرًا مِنْ كُشَافِهِ»، مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ
وَحَمْسِمِئَةً، انْظُرْ: «السِّيَر» (٢٠/ ٢٠٠ تَرْجَمَةٌ ٩١).

(٣) «الْكَشَافُ» (ص ٢٥، دَارُ الْمَعْرِفَةِ - بَيْرُوت، الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ).

(٤) «وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ» لِابْنِ خَلِّكَانَ (٥/ ١٧٠، تَرْجَمَةٌ ٧١١، ت. إِحْسَانُ عَبَّاس).

كِتَابُهُ: «الْكَشَافُ» فِيهِ اعْتِزَالِيَّاتٌ كَثِيرَةٌ، قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَهَا كُلُّ إِنْسَانٍ؛ حَتَّى قَالَ الْبَلْقِينِيُّ^(١): «أَخْرَجْتُ مِنَ الْكَشَافِ اعْتِزَالِيَّاتٍ بِالْمَنَاقِيشِ»^(٢)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا خَفِيَّةٌ، وَالرَّجُلُ لِبَلَاغَتِهِ وَتَمَكُّنِهِ مِنَ اللُّغَةِ وَإِحَاطَتِهِ بِأَسْرَارِهَا بِالْجُمْلَةِ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدُسَّ مَا يَدُسُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّيِّبُ الْحَاقِقُ.

وَالزَّمْخَشَرِيُّ رَجَّحَ أَنَّهَا لِلْمُصَاحِبَةِ؛ لِعَلَّةٍ لِيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ.

وَرَجَّحَ الزَّمْخَشَرِيُّ أَنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ لِلْمُصَاحِبَةِ مَعَ أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهَا لِلِاسْتِعَانَةِ؛ رَجَّحَ الْمُصَاحِبَةُ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَرِلِيَّةَ^(٣) يَرَوْنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ

(١) هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ سِرَاجُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ رَسْلَانَ بْنِ نَصِيرٍ، أَبُو حَفْصٍ الْكِنَانِيُّ الْبَلْقِينِيُّ الْمِصْرِيُّ الشَّافِعِيُّ، مُجْتَهِدٌ عَصَرُهُ، وَعَالِمٌ الْمِئَةِ الثَّامِنَةِ، وَلِدَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِئَةٍ فِي بَلْقِينَةِ مِنْ غَرْبِيَّةِ مِصْرَ، وَبَرَغَ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأُصُولِ، وَأَنْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الْمَذَاهِبِ وَالْإِفْتَاءِ، وَبَلَغَ رُتْبَةَ الْاجْتِهَادِ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ مِنْهَا حَوَاشِي الْكَشَافِ، مَاتَ بِالقَاهِرَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِمِئَةٍ، انْظُرْ: «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» لِابْنِ قَاضِي شُهْبَةَ (٤/ رَقْمُ ٧٣٧)، وَ«إِنْبَاءُ الْعُمَرِ بِأَبْنَاءِ الْعُمَرِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٢/ ٢٤٥)، وَ«الضُّوءُ اللَّامِعُ» لِلْسَّخَاوِيِّ (٦/ ٨٥)، وَ«حُسْنُ الْمُحَاضَرَةِ» لِلْسِّيُوطِيِّ (رَقْمُ ٧٦).

(٢) «الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لِلْسِّيُوطِيِّ (٤/ ٢٤٣)، وَ«بَيَانُ الْمَحَجَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى اللَّجَّةِ» لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ التَّمِيمِيِّ (ص ٢٥٨، دَارُ الْعَاصِمَةِ - الرِّيَّاضُ).

(٣) الْمُعْتَرِلِيَّةُ: هُمْ أَتْبَاعُ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، طَرَدَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ مَجْلِسِهِ، لَمَّا قَالَ: (الْفَاسِقُ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ)، فَانْضَمَّ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، وَاعْتَرَلَ حَلَقَةً الْحَسَنِ، فَسُمُّوا الْمُعْتَرِلِيَّةَ، يُقَارِبُونَ قَوْلَ جَهَنَّمَ فِي الصِّفَاتِ فَيَقُولُونَ بِنَفْيِهَا، وَفِي الْقَدَرِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَبْدَ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ كَامِلٌ الْإِرَادَةُ فِيهِ، لَيْسَ لِلَّهِ فِي عَمَلِهِ تَقْدِيرٌ وَلَا خَلْقٌ، فَفِيهِمْ نَوْعٌ مِنَ الشُّرْكِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَفِي الْأَسْمَاءِ

مُسْتَقِلٌ بِعَمَلِهِ؛ فَإِذَا كَانَ مُسْتَقِلًّا بِعَمَلِهِ فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ لِلِاسْتِعَانَةِ؛ فَقَدَّرَهَا لِلْمُصَاحِبَةِ!

لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَاءِ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ الَّتِي تُصَاحِبُ كُلَّ الْفِعْلِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ؛ فَهِيَ فِي الْأَصْلِ لِلِاسْتِعَانَةِ، وَهِيَ مُصَاحِبَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَوَّلِ الْفِعْلِ إِلَى آخِرِهِ، وَقَدْ تُفِيدُ مَعْنَى آخَرَ وَهُوَ التَّبَرُّكُ إِذَا لَمْ نَحْمِلِ التَّبَرُّكَ عَلَى الْإِسْتِعَانَةِ، وَنَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ يُسْتَعَانُ بِهِ فَإِنَّهُ يُتَبَرَّكُ بِهِ، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الْبَاءَ تُفِيدُ الْبَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ.

(الاسْمُ): مُسْتَقٌّ مِنَ السُّمُوِّ، وَهُوَ الْعُلُوُّ، أَوْ مِنَ السِّمَةِ وَهِيَ الْعَلَامَةُ مِنَ الْوَسْمِ، وَالسِّمَةُ وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا سُمِّيَ فَقَدْ نُوهَ بِاسْمِهِ وَوَسِمَ^(١)، يَعْنِي صَارَ الْإِسْمُ دَلَالَةً وَعَلَامَةً عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (اللَّهُ): عَلَّمَ عَلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا.

وَالْأَحْكَامُ: يَقُولُ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ خَارِجٌ عَنِ الْإِيمَانِ، غَيْرٌ دَاخِلٍ فِي الْكُفْرِ فَهُوَ فِي مَنَزَلَةٍ بَيْنَ مَنَزَلَتَيْنِ، وَلَكِنَّهُ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، «مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ» لِلْأَشْعَرِيِّ (ص ١٥٥ - ١٦٨)، هَلْمُوت رَيْتِر، وَ«الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ» لِلْأَسْفَرَايِينِيِّ (ص ٩٣ - ١٨٩)، وَ«الْفَصْلُ فِي الْمِلَلِ» لِابْنِ حَزْمٍ (٤/ ١٤٦ - ١٥٤)، وَ«الْمِلَّةُ وَالنَّحْلُ» لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ (١/ ٤٣ - ٨٥).

(١) «فَتْحُ الْمَجِيدِ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ» (ص ٧، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ - الْقَاهِرَةُ، ت. مُحَمَّدٌ حَامِدُ الْفِقْيِي)، وَانْظُرْ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٦/ ٢٠٧).

* قُلْتُ: فَهُوَ عَلَّمَ عَلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمَعْنَاهُ: ذُو الْأُلُوْهِيَّةِ وَالْعُبُوْدِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ^(١)، وَمَعْنَاهُ: الْمَالُوهُ أَيِ الْمَعْبُودِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَذُلًّا، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ الْآلَةُ^(٢)، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الْمَالُوهُ: الْمَقْصُودُ بِالْعِبَادَةِ الَّذِي يُعْبَدُ وَحْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيُفْرَدُ بِالْعِبَادَةِ؛ لَا يُعْبَدُ مَعَهُ سِوَاهُ.

(١) رَوَى نَحْوُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١/ ١٢١)، دَارُ هَجَرَ، وَضَعَفَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ فِي تَحْقِيقِ «تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ» (رَقْمُ ١٤١)، وَانْظُرْ: «تَيْسِيرَ الْعَرِيزِ الْحَمِيدِ» (١/ ١١٢ - ١١٣، تِ الْعُيَيْبِ).

(٢) وَهَذَا الْمَهْمُ الْخَاطِئُ قَالَ بِهِ الْأَشْعَرِيَّةُ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَقَدْ بَيَّنَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ خَطَأَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَالْآلَةُ هُوَ بِمَعْنَى الْمَالُوهِ الْمَعْبُودِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، لَيْسَ هُوَ الْآلَةُ بِمَعْنَى الْقَادِرِ عَلَى الْخَلْقِ. فَإِذَا فَسَّرَ الْمُفَسِّرُ الْآلَةَ بِمَعْنَى الْقَادِرِ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا أَخْصَصَ وَصْفَ الْآلَةِ، وَجَعَلَ إِبْثَاتَ هَذَا التَّوْحِيدِ هُوَ الْغَايَةُ فِي التَّوْحِيدِ، كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ يَفْعَلُهُ مِنْ مُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ - وَهُوَ الَّذِي يَقُولُونَهُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ وَأَتْبَاعِهِ - لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ؛ فَإِنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانُوا مَعَ هَذَا مُشْرِكِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُفُ ١٠٦] قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ: (تَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُ، وَهُمْ مَعَ هَذَا يَعْْبُدُونَ غَيْرَهُ)». اهـ، «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (١/ ٢٢٦ - ٢٢٧).

وَانْظُرْ: «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (٩/ ٣٧٧، تِ مُحَمَّدَ رَشَادِ سَالِمٍ)، وَ«النُّبُوَاتُ»

(١/ ٢٨٥، تِ الطَّوِيَّانِ)، وَ«مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٣/ ١٠١)، وَ«الْقَوْلُ الْمُفِيدُ عَلَى كِتَابِ التَّوْحِيدِ

- مَجْمُوعُ رَسَائِلِ الْعُيَيْمِينَ» (٩/ ٥٣).

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي تَبَعَهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ حَتَّى إِنَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿[إبراهيم: ١ - ٢].

لَا نَقُولُ إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ (الله) صِفَةٌ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ عَطْفٌ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبِيعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ.

* قُلْتُ: لِأَنَّكَ إِنْ قُلْتَ: صِفَةٌ؛ صَارَ تَابِعًا تَبِيعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ، وَقَدْ مَرَّ قَبْلَهُ مَا يُنْعَتُ: ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿[إبراهيم: ١ - ٢].

فَلَفْظُ الْجَلَالَةِ لَا يُعَرَّبُ هَا هُنَا نَعْتًا، وَإِنَّمَا نَقُولُ: هَذَا عَطْفٌ بَيَانٍ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ تَابِعًا تَبِيعِيَّةَ النَّعْتِ لِلْمَنْعُوتِ.



قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّحْمَنُ): اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُخْتَصَّةِ بِاللَّهِ ﷻ لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِهِ.

* قُلْتُ: فَهَذَا الْإِسْمُ مُخْتَصٌّ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَمَّا تَسَمَّى بِهِ مُسَيَّلَمَةٌ دُمِعَ بِالْكَذِبِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ؛ فَمَا يُذَكَّرُ حَتَّى يُقَالَ: مُسَيَّلَمَةُ الْكَذَّابِ^(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرَّحْمَنُ مَعْنَاهُ: الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ. * قُلْتُ: وَصِيغَةُ (فَعْلَانُ): تَدُلُّ عَلَى السَّعَةِ وَالْإِمْتِلَاءِ؛ كَمَا تَقُولُ: (غَضَبَانُ) لِلَّذِي امْتَلَأَ غَضَبًا، وَ(شَبَعَانُ)، وَمَا أَشَبَهَ^(٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الرَّحِيمُ): يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَى غَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ.

فَالرَّحْمَنُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ، وَالرَّحِيمُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ.

(١) «مَعَاذِي الْوَاقِدِي» (١/ ٨٢، ت مارسدن جونس)، و«الْإِكْمَالُ» (٤/ ٣٧)، و«الرَّوْضُ الْأَنْفُ»

(٣/ ١٩٥) (٧/ ٤٤٢ - ٤٤٣، ت الْوَكِيل)، و«الْمُنْتَظَمُ» (٤/ ٢٠ - ٢١)، و«الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ»

(٧/ ٢٥٦ - ٢٥٧، ت عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيُّ).

(٢) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَى وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (٨/ ٢٨).

فَإِذَا جُمِعَا؛ صَارَ الْمُرَادُ بِالرَّحِيمِ الْمُوَصَّلَ رَحْمَتُهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [العنكبوت: ٢١].

* قُلْتُ: «فَ(الرَّحْمَنُ): دَالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَ(الرَّحِيمُ): دَالٌّ عَلَى تَعَلُّقِهَا بِالْمَرْحُومِ».

فَافْهَمُهَا! الرَّحْمَنُ دَالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الْقَائِمَةِ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالرَّحِيمُ دَالٌّ عَلَى تَعَلُّقِ هَذِهِ الصِّفَةِ الْعَظِيمَةِ بِالْمَرْحُومِ.

«فَالْأَوَّلُ لِلْوَصْفِ؛ (الرَّحْمَنُ) لِلْوَصْفِ، وَ(الرَّحِيمُ) لِلْفِعْلِ؛ فَالْأَوَّلُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ صِفَتُهُ، وَالثَّانِي دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ يَرْحَمُ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَلَمْ يَجِئْ قَطُّ: (رَحْمَنٌ)».

لَمْ يَجِئْ قَطُّ: (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحْمَنٌ)، أَوْ (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)، وَإِنَّمَا جَاءَ: ﴿رَحِيمًا﴾، وَجَاءَ ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، «فَعِلِمَ أَنَّ (الرَّحْمَنَ)، هُوَ: الْمُوصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَأَنَّ (الرَّحِيمَ)، هُوَ: الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ»^(١).
فَالرَّحْمَنُ الْمُوصُوفُ بِالرَّحْمَةِ، وَالرَّحِيمُ الرَّاحِمُ بِرَحْمَتِهِ.



(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ» لِابْنِ الْقَيِّمِ (٢٤/١)، ثُمَّ قَالَ: «وَهَذِهِ نُكْتَةٌ لَا تَكَادُ تَجِدُهَا فِي كِتَابٍ وَإِنْ تَنَفَّسَتْ عِنْدَهَا مِرَاةَ قَلْبِكَ لَمْ تَنْجَلِ لَكَ صُورَتَهَا».

الْعِلْمُ وَمَرَاتِبُ الْإِدْرَاكِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ، رَحِمَكَ اللهُ.....

* قُلْتُ: (اعْلَمْ): يُؤْتَى بِهَا مِنْ بَابِ التَّنْيِهِ، وَحَثِّ السَّامِعِ عَلَى أَنْ يُصْغِيَ
لِمَا سَيُقَالُ لَهُ.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ؟»^(١)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟»^(٢)، وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟»^(٣)، مِنْ أَجْلِ
شَحْذِ ذِهْنِ الْمُخَاطَبِ؛ لِكَيْ يَسْتَعِدَّ لِاسْتِقْبَالِ مَا يُلْقَى عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَمْرِ
الْمُهِمِّ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَذَانِ، ١٥٦: ٢، رَقْمُ ٨٤٦)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي

«صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٣٢: ١، رَقْمُ ٧١)، مِنْ حَدِيثِ: زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْأَدَبِ، ٢٠، رَقْمُ ٢٥٨٩)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الشَّهَادَاتِ، ١٠: ٢، رَقْمُ ٢٦٥٤)، وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ

فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٣٨: ١، رَقْمُ ٨٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ): وَهَذَا دُعَاءٌ مِنَ الْمُصَنِّفِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- لِلْقَارِئِ
يَدُلُّ عَلَى شَفَقَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ الْخَيْرَ لَهُ.

وَهِيَ جُمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ لَفْظًا إِنشَائِيَّةٌ مَعْنَى؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الدُّعَاءُ لِلْمُتَعَلِّمِ
بِالرَّحْمَةِ، أَيْ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِكَ وَوَفَّقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ،
وَهَذَا إِذَا أُفِرِدَتِ الرَّحْمَةُ بِالذِّكْرِ، وَأَمَّا إِذَا قُرِنَتِ الرَّحْمَةُ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ لِمَا
مَضَى، وَالرَّحْمَةُ لِمَا يُسْتَقْبَلُ؛ -فَيَكُونُ الدُّعَاءُ لَكَ فِيمَا تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ أَمْرِكَ-
بِالتَّوْفِيقِ لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعِلْمُ، هُوَ: إِدْرَاكُ
الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا.
وَمَرَاتِبُ الْإِدْرَاكِ سِتُّ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، هُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا.
* قُلْتُ: فَالْعِلْمُ: نِسْبَةٌ وَاقِعَةٌ مَجْزُومٌ بِهَا، وَعَلَيْهَا دَلِيلٌ.
قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِيَةُ: الْجَهْلُ الْبَسِيطُ، وَهُوَ: عَدَمُ الْإِدْرَاكِ
بِالْكُلِّيَّةِ.

* قُلْتُ: وَالْحَقُّ أَنَّا نَسْتَحِبُّ أَنْ لَا تُسَمَّى جَهْلًا أَصْلًا؛ لِأَنَّ عَدَمَ الْإِدْرَاكِ
بِالْكُلِّيَّةِ يَكُونُ أُمِّيَّةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ مَوْصُوفًا بِالْأُمِّيَّةِ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- فِي
كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَلَا يُقَالُ: إِنَّ الْأُمِّيَّةَ هِيَ الْجَهْلُ الْبَسِيطُ، وَإِنَّمَا تُسَمَّى أُمِّيَّةً

وَالنَّسَبَةُ فِيهَا إِلَى الْأُمِّ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا عِنْدَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ؛ فَلَوْ سُمِّيتْ أُمِّيَّةً لَكَانَ حَسَنًا؛ فَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ مَرَاتِبِ الْإِدْرَاكِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثَةُ: الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

* قُلْتُ: وَهَذَا مُعَقَّدٌ جِدًّا عِنْدَ إِزَالَتِهِ؛ لِأَنَّ الْأُمِّيَّةَ تَتَطَلَّبُ شَيْئًا وَاحِدًا وَجُهْدًا وَاحِدًا، وَهُوَ بَذْلُ الْعِلْمِ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْصِلَهُ، وَأَمَّا الْجَهْلُ الْمُرَكَّبُ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَيَحْتَاجُ جُهْدَيْنِ:

١ - يَحْتَاجُ جُهْدًا لِمَحْوِ مَا هُنَالِكَ مِنْ ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْخَاطِئِ.

٢ - ثُمَّ يَحْتَاجُ جُهْدًا آخَرَ مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ بَدَلِ ذَلِكَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّابِعَةُ: الْوَهْمُ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالٍ ضِدِّ رَاجِحٍ.

* قُلْتُ: فَلَا أَخْذُ هَا هُنَا بِالْمَرْجُوحِ مَعَ وُجُودِ الضِّدِّ الرَّاجِحِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَامِسَةُ: الشَّكُّ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالٍ مُسَاوٍ.

السَّادِسَةُ: الظَّنُّ، وَهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالٍ ضِدِّ مَرْجُوحٍ.

* قُلْتُ: تَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ تَجْعَلَ لِذَلِكَ مِثَالًا؛ فَتَقُولَ:

إِنَّ الْخَادِمَ هُنَالِكَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ زَيْدًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَمْرًا؛ فَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرْجِّحَ؛ تَقُولُ: هُوَ إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرٌو؛ فَهَذَا شَكٌّ؛ لِأَنَّهُ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ مَعَ احْتِمَالِ مُسَاوٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ تَرْجِيحًا؛ فَهَذَا شَكٌّ، هَذَا إِمَّا زَيْدٌ وَإِمَّا عَمْرٌو، هَذَا شَكٌّ.

فَإِذَا اقْتَرَبَا قَلِيلًا، فَقُلْ: يَتَرَجَّحُ عِنْدِي الْآنَ أَنَّهُ عَمْرٌو؛ فَعَمْرٌو رَاجِحٌ وَزَيْدٌ مَرْجُوحٌ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِأَنَّهُ زَيْدٌ مَعَ وُجُودِ الْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ، وَأَنَّهُ عَمْرٌو فَقَدْ أَخَذَ بِالْوَهْمِ، وَأَمَّا مَنْ أَخَذَ بِالْإِحْتِمَالِ الرَّاجِحِ فَقَدْ أَخَذَ بِالظَّنِّ، فَإِذَا مَا اقْتَرَبَا فَعُوِينَا وَشُوهِدَا وَتَحَقَّقَ مِنْهُ؛ فَهَذَا هُوَ الْيَقِينُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: ضَرْوَرِيٌّ وَنَظَرِيٌّ.

فَالضَّرْوَرِيُّ: مَا يَكُونُ إِدْرَاكُ الْمَعْلُومِ فِيهِ ضَرْوَرِيًّا؛ بِحَيْثُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا اسْتِدْلَالٍ؛ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ مَثَلًا.

وَالنَّظَرِيُّ: مَا يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَاسْتِدْلَالٍ؛ كَالْعِلْمِ بِوُجُوبِ النِّبَةِ فِي الْوُضُوءِ.

* قُلْتُ: فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ، يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِدْلَالٍ، يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ بِأَنَّ النَّارَ حَارَّةٌ أَوْ مُحْرِقَةٌ؛ فَهَذَا عِلْمٌ ضَرْوَرِيٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِدْلَالٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: (رَحِمَكَ اللهُ): «أَفَاضَ عَلَيْكَ مِنْ رَحْمَتِهِ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَا عَلَى مَطْلُوبِكَ، وَتَنْجُو بِهَا مِنْ مَحْذُورِكَ؛ فَالْمَعْنَى: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِكَ، وَوَفَّقَكَ وَعَصَمَكَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْهَا»، هَذَا إِذَا أُفْرِدَتْ الرَّحْمَةُ، وَأَمَّا إِذَا قُرِنَتِ الرَّحْمَةُ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَالْمَغْفِرَةُ لِمَا مَضَى مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ لِلْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَصَنَعَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يَدُلُّ عَلَى عِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ بِالْمُخَاطَبِ وَقَصْدِ الْخَيْرِ لَهُ.

● ● ●
جامعة

مِنْهَاجُ السُّوْعِي

www.menhag-un.com

المَسَائِلُ الْأَرْبَعُ

المَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْعِلْمُ وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ وَدِينَهُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ؛ الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ ..

* قُلْتُ: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ): التَّعَلُّمُ: تَحْصِيلُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ.

وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ صِغَارًا وَكِبَارًا، وَالْمُرَادُ هُنَا بِقَوْلِهِ: (يَجِبُ عَلَيْنَا): الْوُجُوبُ الْعَيْنِيُّ، وَهُوَ مَا يَجِبُ أَدَاؤُهُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَعِيْنِهِ.

(الْعِلْمُ): هُوَ الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَهُوَ مَا كَانَ تَعَلُّمُهُ فَرَضَ عَيْنٍ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُصَنِّفُ هَا هُنَا.

(يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ)، وَجُوبًا عَيْنِيًّا، وَهُوَ: مَا يَجِبُ أَدَاؤُهُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَعِيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: (الْعِلْمُ) فَأَرَادَ بِهِ ذَلِكَ الْعِلْمَ مَا كَانَ تَعَلُّمُهُ فَرَضَ عَيْنٍ. أَوَّلُ مَسْأَلَةٍ يَجِبُ عَلَيْنَا وَجُوبًا عَيْنِيًّا أَنْ نَعْلَمَهَا هِيَ:

الْعِلْمُ: وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدَلَّةِ.
فَهَذَا يَجِبُ وَجُوبًا عَيْنِيًّا.

قَالَ عليه السلام: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»^(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَلَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ: «مُسْلِمَةً»؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَنِّفِينَ وَالْخُطَبَاءِ يَأْتُونَ بِهِ مُورِدِينَ إِيَّاهُ هَكَذَا: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»؛ فَهِيَ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهَا صَحِيحًا إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ، وَالثَّابِتُ الصَّحِيحُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رحمته الله: هَذِهِ الْمَسَائِلُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ؛ فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالْعِنَايَةِ؛ لِعِظَمِ نَفْعِهَا.

(مَعْرِفَةُ اللَّهِ)، أَيِ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ عز وجل بِالْقَلْبِ، مَعْرِفَةٌ تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا شَرَعَهُ، وَالْإِذْعَانَ لَهُ، وَالْإِنْقِيَادَ لَهُ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ عليه السلام.

وَيَتَعَرَّفُ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ بِ: النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ عز وجل، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ عليه السلام، وَالنَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْمَخْلُوقَاتُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي «سُنَنِهِ» فِي (الْمُقَدِّمَةِ، ١٧: ٥، رَقْمُ ٢٢٤)، وَغَيْرُهُ، مِنْ طَرُقٍ: عَنْ أَنَسٍ رضي عنه، وَرَوَى أَيْضًا عَنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَصِحَّ لَهُ إِسْنَادٌ، إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهُ قَائِمٌ، وَحَسَنَهُ بِمَجْمُوعِ طَرُقِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «تَخْرِيجِ مُشْكَلَةِ الْفَقْرِ» (٤٨ - ٦٢، رَقْمُ ٨٦)، وَفِي «الضَّعِيفَةِ» (٦٠٣/١ - ٦٠٤، رَقْمُ ٤١٦).

كُلَّمَا نَظَرَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ ازْدَادَ عِلْمًا بِخَالِقِهِ وَمَعْبُودِهِ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿[الذاريات: ٢٠-٢١].

* قُلْتُ: (مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى): بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيمَانًا جَازِمًا؛ الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ، وَالْإِيمَانُ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالْإِيمَانُ بِالْوَهْيِيَّةِ، وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِيمَانًا يَسْتَلْزِمُ: الْقَبُولَ لِمَا شَرَعَ مَعَ الْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَالْإِذْعَانَ لَهُ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا نَبِيُّهُ ﷺ.

فَهَذِهِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ الشَّرْعِيَّةُ الْحَقَّةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَلْبِهِ مَعْرِفَةً تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْإِذْعَانِ لَهُ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ.

هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ يَتَحَصَّلُ عَلَيْهَا الْعَبْدُ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَسْطُورَةِ، وَفِي آيَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمَنْظُورَةِ؛ فِي الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَفِي الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ؛ كَمَا بَيَّنَّ لَنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ.



قَالَ الْإِمَامُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ)، أَي: مَعْرِفَةُ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ قَبُولَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَتَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَامْتِثَالَ أَمْرِهِ فِيمَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابَ مَا نَهَى عَنْهُ وَمَا عَنْهُ زَجَرَ، وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ، وَالرِّضَا بِحُكْمِهِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَقَالَ ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ: الشَّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ ﷺ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الرِّبِّغِ؛ فَيَهْلِكُ»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ» (١/ رَقْم ٩٧، دَارُ الرَّايَةِ - الرِّيَّاضُ)، وَأَبُو طَاهِرٍ السَّلْفِيِّ فِي «الطُّبُورِيَّاتِ» (١٣٤٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْفَضْلِ بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا

قَوْلُهُ: (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ)؛ الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، هُوَ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمَا شَرَعَ مِنْذُ أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُلَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ كَمَا ذَكَرَ ﷺ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّرَائِعَ السَّابِقَةَ كُلَّهَا إِسْلَامٌ لِلَّهِ ﷻ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨].

* قُلْتُ: الْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْمَعْنَى الْعَامِّ.

مَا أَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّسُلَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ؛ بِالْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ^(١).

عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ، يَقُولُ:

«نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا»، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وَجَعَلَ يُكْرِّرُهَا، وَيَقُولُ: «وَمَا الْفِتْنَةُ؟ الشَّرْكُ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فِيهِلِكُهُ»، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

(١) قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنِ التَّوْرَةِ وَأَنْبِيََاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة:

٤٤]، فَوَصَفَ اللَّهُ ﷻ أَنْبِيََاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْإِسْلَامِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَيْسَ خَاصًّا بِهَذِهِ الْأُمَّةِ بَلْ هُوَ عَامٌّ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وَعَنْ أَنْبَاءٍ يَعْقُوبَ ﷺ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ

بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، انْظُرْ: «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ (٣/ ٨٩ - ٩٤).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِسْلَامُ بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ بَعْدَ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ يَخْتَصُّ بِمَا بُعِثَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ لِأَنَّ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ نَسَخَ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ السَّابِقَةِ، فَصَارَ مَنْ اتَّبَعَهُ مُسْلِمًا، وَمَنْ خَالَفَهُ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ.

فَاتَّبَعَ الرُّسُلَ مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ رُسُلِهِمْ؛ فَالْيَهُودُ مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ مُوسَى ﷺ، وَالنَّصَارَى مُسْلِمُونَ فِي زَمَنِ عِيسَى ﷺ، وَأَمَّا حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَفَرُوا بِهِ فَلَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ^(١).

وَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ، هُوَ الدِّينُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللَّهِ النَّافِعُ لِصَاحِبِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَهَذَا الْإِسْلَامُ، هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي آمَنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِيمَانِ، ٧٠: ١، رَقْمُ ١٥٣)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ؛ تَنْبِيْهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَهُمْ كِتَابٌ، فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا فَغَيَّرَهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ» لِلنَّوَوِيِّ (٢/١٨٨).

❖ قُلْتُ: فَالْإِسْلَامُ يَأْتِي بِالْمَعْنَى الْعَامِّ، وَيَأْتِي بِالْمَعْنَى الْخَاصِّ.

الْمُرَادُ بِهِ هُنَا الْمَعْنَى الْخَاصُّ، وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ، وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ الدِّينُ الْكَامِلُ الَّذِي أَكْمَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَرَضِيَهُ لَهَا، وَلَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ.

جامعة

مِنْهَاجُ السُّوَعِيَّةِ

www.menhag-un.com

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

بِالْأَدِلَّةِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: قَوْلُهُ: (بِالْأَدِلَّةِ): جَمْعُ (دَلِيلٍ)، وَهُوَ: مَا يُرْشِدُ إِلَى الْمَطْلُوبِ.

* قُلْتُ: وَالِدَلِيلُ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ؛ فَهُوَ دَلِيلٌ بِمَعْنَى دَالٍّ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِنَ الدَّلَالَةِ، وَهِيَ الْإِرْشَادُ وَالْهِدَايَةُ.

وَقَوْلُهُ: (بِالْأَدِلَّةِ) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّقْلِيدَ لَا يَنْفَعُ فِي بَابِ الْعَقَائِدِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَالْأَدِلَّةُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ سَمْعِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ؛

فَالسَّمْعِيَّةُ: مَا ثَبَتَ بِالْوَحْيِ، وَهُوَ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَالْعَقْلِيَّةُ: مَا ثَبَتَ بِالنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ.

وَقَدْ أَكْثَرَ اللهُ ﷻ مِنْ ذِكْرِ هَذَا النَّوعِ فِي كِتَابِهِ؛ فَكَمْ مِنْ آيَةٍ قَالَ اللهُ فِيهَا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ...﴾ كَذَا وَكَذَا، وَهَكَذَا يَكُونُ سِيَاقُ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ؛ فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَحْمَدُ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] الْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ: بِالنَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا أَتَى بِهِ ﷺ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي أَعْظَمَهَا كِتَابُ اللَّهِ ﷻ الْمُسْتَمَلُّ عَلَى الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ النَّافِعَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْمُصْلِحَةِ الْعَادِلَةِ، وَمَا جَرَى عَلَى يَدَيْهِ ﷺ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ وَحْيٍ، وَالَّتِي صَدَّقَهَا مَا وَقَعَ مِنْهَا.

﴿قُلْتُ: فَاعْرِفْ نَبِيَّكَ، وَهُوَ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ ﷺ، وَاعْرِفْ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ بِدِينِ الْحَقِّ؛ يَعْلَمُكَ وَيُرْشِدُكَ.﴾

فَإِنَّ بَيِّنَةَ رَسُولِ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا رَحْمَةً، وَأَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَهُ لِلْحِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ اتِّبَاعُهُ وَالسَّيْرُ عَلَى مِنْهَاجِهِ، وَالْقَصُّ عَلَى أَثَرِهِ ﷺ.



مِنْهَاجُ السُّوْعَى

المسألة الثانية: العمل بالعلم

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّانِيَّةُ: الْعَمَلُ بِهِ

* قُلْتُ: فَ(الْعَمَلُ بِهِ)، أَي: بِالْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُطَلَّبُ لِلْعَمَلِ، لَا يُطَلَّبُ الْعِلْمُ إِلَّا لِلْعَمَلِ.

وَقَدْ وَرَدَتْ النُّصُوصُ فِي الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِمَنْ عِلْمٌ وَلَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ صَافِيَةٌ.

وَقَدْ قَالَ الْفُضَيْلُ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١): «لَا يَزَالُ الْعَالِمُ جَاهِلًا حَتَّى يَعْمَلَ بِعِلْمِهِ؛ فَإِذَا عَمِلَ بِعِلْمِهِ صَارَ عَالِمًا»^(٢).

(١) هُوَ: الْإِمَامُ، الْقُدْوَةُ، الثَّبْتُ، الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ بْنِ مَسْعُودٍ بْنِ بَشِيرٍ، أَبُو عَلِيٍّ التَّمِيمِيُّ، الْخُرَّاسَانِيُّ الْأَصْلُ، الْمَجَاوِرُ بِحَرَمِ اللَّهِ، ثِقَّةٌ عَابِدٌ إِمَامٌ رَفِيعُ الذِّكْرِ، مِنَ الْوُسْطَى مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، سَكَنَ مَكَّةَ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِئَةٍ، أَنْظَرِ: «السِّيَر» (٨/ تَرْجَمَةٌ ١١٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «اِقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلِ» (ص ٣٧، رَقْم ٣٤، ت الْأَلْبَانِي)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٨/ ٤٢٧، تَرْجَمَةٌ ٥٦٣٠)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْرَزِيِّ، قَالَ: قَالَ أَيُّوبُ بْنُ يَحْيَى: قَالَ فَضَيْلُ بْنُ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: (الْعَمَلُ بِهِ)، أَيُّ: الْعَمَلُ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْخَاصَّةِ وَالْعِبَادَاتِ الْمُتَعَدِّيَةِ؛ فَالْعِبَادَاتُ الْخَاصَّةُ، مِثْلُ: الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ.

* قُلْتُ: وَالْحَجُّ فِيهِ نِزَاعٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى أَيْضًا.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْعِبَادَاتُ الْمُتَعَدِّيَةُ؛ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْعَمَلُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَمِلَ بِلَا عِلْمٍ فَقَدْ شَابَهَ النَّصَارَى، وَمَنْ عِلْمٌ وَلَمْ يَعْمَلْ فَقَدْ شَابَهَ الْيَهُودَ.

* قُلْتُ: فَعَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي أَنْتَ مَأْمُورٌ بِهَا، وَأَنْ تَتْرَكَ الْمَعَاصِيَ الَّتِي أَنْتَ مَنْهِيٌّ عَنْهَا.



عِيَاضٍ: «لَا يَزَالُ الْعَالَمُ جَاهِلًا بِمَا عِلْمٌ حَتَّى يَعْمَلَ بِهِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهِ كَانَ عَالِمًا».

وَالْمَحْرُزِيُّ: مُحَدَّثٌ مَسْتُورٌ، «تَبْصِيرُ الْمُتَنَبِّهِ بِتَحْرِيرِ الْمُشْتَبِهِ» لِابْنِ حَجَرٍ (٤/١٣٤٣)، الْمَكْتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ، بَيْرُوتُ)، وَأَيُّوبُ بْنُ يَحْيَى: لَا يُعْرَفُ.

المسألة الثالثة: الدعوة إليه

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)، أَيِ: الدَّعْوَةُ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مَرَاتِبِهَا الثَّلَاثِ أَوْ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَالرَّابِعَةُ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وَلَا بُدَّ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ عِلْمٍ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ ﷻ حَتَّى تَكُونَ الدَّعْوَةُ عَنْ عِلْمٍ وَإِلَى عِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* قُلْتُ: وَالْبَصِيرَةُ فَوْقَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَلَا بَصِيرَةَ عِنْدَهُ؛ فَيُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْبَصِيرَةِ أَيْضًا مَعَ الْعِلْمِ؛ وَلِذَلِكَ ذَكَرَهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿قُلْ هَذِهِ

سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَتَكُونُ الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِصَةً؛ فَلَا بُدَّ مِنْ شَرْطِ الْإِخْلَاصِ.

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْبَصِيرَةُ تَكُونُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ: بِأَنْ يَكُونَ الدَّاعِيَةُ عَالِمًا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَبِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ، وَبِحَالِ الْمَدْعُوِّ. * قُلْتُ: فَلَا بُدَّ مِنْ تَوْفُرِ هَذِهِ الشُّرُوطِ:

- لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ.

- وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَةِ.

- وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِحَالِ الْمَدْعُوِّ.

هَذِهِ هِيَ الْبَصِيرَةُ فِي الدَّعْوَةِ.

وَأَمَّا إِذَا مَا تَخَلَّفَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ، وَامْتَلَأَ الْمَرْءُ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَأَمْرًا وَنَهْيًا، ثُمَّ رَاحَ يَخْبِطُ هَاهُنَا وَهُنَاكَ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ صَادًّا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَا دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمَجَالَاتُ الدَّعْوَةِ كَثِيرَةٌ:

- مِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْخَطَابَةِ وَبِالْقَاءِ الْمُحَاضَرَاتِ.

- وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْمَقَالَاتِ.

- وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحُلُقَاتِ الْعِلْمِ.

- وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالتَّأْلِيفِ وَنَشْرِ الدِّينِ عَنْ طَرِيقِ التَّأْلِيفِ.

- وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ فِي الْمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ؛ فَإِذَا جَلَسَ الْإِنْسَانُ فِي مَجْلِسٍ فِي دَعْوَةٍ مَثَلًا، فَهَذَا مَجَالٌ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَلَكِنْ يَجِبُ -يَنْبَغِي- أَنْ تَكُونَ عَلَى وَجْهِ لَا مَلَلٍ فِيهِ وَلَا إِنْقَالَ، وَيَحْصُلُ هَذَا بِأَنْ يَعْزِضَ الدَّاعِيَةُ مَسْأَلَةَ عِلْمِيَّةٍ عَلَى الْجَالِسِينَ ثُمَّ تَبْدِئُ الْمُنَاقَشَةَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُنَاقَشَةَ وَالسُّؤَالَ وَالْجَوَابَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي فَهْمِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَتَفْهِيمِهِ، وَقَدْ يَكُونُ أَكْثَرُ فَعَالِيَةٍ مِنْ إِلْقَاءِ خُطْبَةٍ أَوْ مُحَاضَرَةٍ إِلْقَاءِ مُرْسَلًا كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ.

* قُلْتُ: لِأَنَّ هَذَا التَّفَاعُلَ يُؤَدِّي إِلَى تَثْبِيتِ الْمَعْلُومِ، وَذَلِكَ يَعْرِفُهُ كُلُّ مَنْ عَانَى ذَلِكَ وَزَاوَلَهُ.

وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَسَبَ طَاقَتِهِ وَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ عَلَيْهِ قِسْطٌ مِنْ هَذَا الْوَاجِبِ مِنْ تَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ إِلَيْهِ، وَالنَّصِيحَةِ فِيهِ؛ فَيَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِلَى الصَّلَاةِ، وَإِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ، وَإِلَى الزَّكَاةِ، وَإِلَى أَدَائِهَا، وَإِلَى صَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَعَ الْإِسْطِطَاعَةِ، وَإِلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي كُلِّهَا.

وَالصِّفَاتُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَتَوَفَّرَ فِي الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: التَّقْوَى، وَالْإِخْلَاصُ، وَالْعِلْمُ، وَالْحِلْمُ، وَضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَأَنْ يَبْدَأَ بِالْأَهَمِّ؛ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَأَنْ يَسْلُكَ فِي دَعْوَتِهِ الْمَنْهَجَ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالِدَعْوَةُ إِلَى اللَّهِ ﷻ هِيَ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ ﷺ، وَطَرِيقَةُ مَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ مَعْبُودَهُ وَنَبِيَّهَ وَدِينَهُ، وَمَنْ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ لِدَلِكْ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ السَّعْيَ فِي انْقِاذِ إِخْوَانِهِ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَلِيُبَشِّرَ بِالْخَيْرِ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «انْفِذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»، مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ (١).

* قُلْتُ: (وَحُمْرُ النَّعَمِ): هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْرُ، وَهِيَ أَنْفُسُ مَا كَانَ يَفْتَنِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْأَمْوَالِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْجِهَادِ، ١٠٢: ٢، رَقْمُ ٢٩٤٢) وَمَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، ٤: ٧، رَقْمُ ٢٤٠٦)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١): «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا (٢): «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».

* قُلْتُ: فَهَذِهِ ثَلَاثٌ مِنَ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَنَصَّ عَلَى وُجُوبِ تَعَلُّمِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

جامعة

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْعِلْمِ، ٥: ٦)، رَقْمُ (٢٦٧٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» فِي (الْإِمَارَةِ، ٣٨: ١)، رَقْمُ (١٨٩٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مَسْعُودٍ

الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.